مقالة بحثية

# أثر الموروث الثقافى على الدلالات الرمزية للون فى العمارة الداخلية الإسلامية الهندية (القرن 10-12هجرى/16-18 ميلادى) .

* منى جلال عبد العزيز غباشى
* الدارسة بمرحلة الدكتوراه، قسم الديكور تخصص عمارة داخلية، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان.
البريد الإليكتروني: monagalal@outlook.sa

تاريخ المقال:
- تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 22 فبراير 2021
- تاريخ تسليم النسخة المنقحة: 03 إبريل 2021
- تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 11 إبريل 2021

الملخص:

*تأثرت العمارة المغولية بالفكر الهندوسى الذى يهتم بضخامة البناء الذى يستوقف الانتباه، والفكر الإسلامى الذى يهتم بالتفاصيل الرقيقة والزخارف التى تستوقف الأنظار ولذلك قيل عن المغول إنهم شيدوا كما تشيد العمالقة، ثم ختموا بناءهم بصناعة الصائغين الرقيقة، وتنوعت العمارة المغولية بين عمارة دينية وعمارة مدنية وعمارة حربية وأضرحة وبيمارستانات وغيرها. تتميز مبانى العصر المغولى الإسلامى بالهند بالقوة والشموخ فى البناء مع الرقة والأناقة فى الزخارف والألوان، وظهر فى المبانى التأثر بالموروث الثقافى المحلى للهند والموروث الدينى والفكر السياسى والإستعانة بالمواد الخام المتوفرة مع جلب مواد أخرى من البلاد المجاورة، وظهرت أساليب متنوعة فى الزخرفة مثل أسلوب التطعيم بيترادورا باستخدام أحجار كريمة وشبه كريمة، كما اهتم البحث بدراسة الدلالات الرمزية للألوان والزخارف بهذه المبانى. تطور استخدام المواد الخام من الحجر الرملى الأحمر فى عهد الإمبراطور (جلال الدين أكبر) الذى حرص على توحيد كل الطوائف بالهند فاستعان بالزخارف والألوان التى تنتمى للفكر الهندوسى بجانب الإسلامى كما فى القلعة الحمراء بأجرا ومدينته فتحبورسيكرى، ثم بدأ الإستعانة بالرخام فى الواجهات فى عهد ابنه الإمبراطور (جهانجير) ثم أصبح هذا الرخام هو السمة المميزة لعصر الإمبراطور (شاهجهان) والذى ظهر بوضوح فى بنائه الرائع تاج محل الذى بناه ليضم رفات زوجته المحبوبة (ممتاز محل)، وقد قال فيه شاعر الهند الأشهر رابندرانات طاغور،"حسب شاهجهان أنه قد سكب على ضفة النهر دمعة واحدة التصقت بوجه الزمان".*

**الكلمات المفتاحية:** الموروث الثقافي,الدلالات الرمزية للون,العمارة الداخلية الإسلامية الهندية,بيترادورا، Cuerda seca ، جالى ، شيش محل

**مقدمة:**

كانت الهند من أهم المدن التى لها دور فعال فى العمارة الإسلامية، فعلى مدار تاريخها فى العصر الإسلامى تنافس الحكام والمعماريون فى تلك الأقطار لتشييد أجمل التصميمات والتكوينات المعمارية.

تعتبر الدلالات الرمزية واحدة من العوامل الهامة التى تؤدى دوراً فى تحديد طبيعة الزخارف والألوان المستخدمة فى العمائر الإسلامية حيث يكون لتلك الدلالات والرمزيات علاقة إما بطبيعة الحكم السياسى أو يكون لها علاقة بالمعتقد الدينى وطبيعة الفكر الدينى السائد بحسب انتماء سكان ذلك المكان إلى السنة أو الشيعة وربما كان التصوف والصوفية خير دليل على ذلك، كما أنه قد يرتبط الأمر فى موضوع الدلالات الرمزية بطبيعة الموروثات الفنية التى يرثها المجتمع فى مكان ما من حضارات سابقة فى وجودها على حضارة الإسلام فى تلك الأماكن.

**مشكلة البحث:**

تنحصر مشكلة البحث فى الكشف عن الدلالات الرمزية فى التصميمات الفنية الزخرفية والألوان على الجدران الداخلية والخارجية للعمائر الإسلامية بالهند، وأثر الموروث الثقافى على استخدام تلك الألوان والزخارف.

**هدف البحث:**

الكشف عن أثر الموروث الثقافي على الدلالات الرمزية للون في العمارة الإسلامية الهندية.

**معانى بعض مصطلحات البحث:**

• **بيترادورا:** ترصيع أسطح الرخام بالأحجار الكريمة وشبه الكريمة، حيث تحفر الأسطح بعناية فائقة فى تشكيلات رقش الزهور والتوريق المتشابك ومحاليق الكروم التى يرصع بها الرخام المرمرى الأبيض، الترصيع بالحجارة مثل حجر اللازورد واليشب والعقيق والتوباز وغيرها.

• **Cuerda seca** : كلمة أسبانية تعنى زخارف متعددة الألوان على بلاطات عن طريق التزجيج بحيث توجد مسافة فاصلة بين هذه الألوان المختلفة عن طريق عمل خطوط من الشمع وحرقها.

• **جالى:** حواجز ذات ثقوب بأشكال زخرفية.

• **شيش محل:** تعنى قصر المرايا.

**أهمية البحث:**

ترجع أهمية البحث إلى رصد المعالجات التشكيلية للدلالات الرمزية القائمة على جدران العمائر الإسلامية بالهند من الداخل والخارج والتى تتمثل فى تضافر الرمز والخط واللون على الجدران وما تحويه من رموز.

**ويتناول البحث محتويات الموضوع فيما يلى:**

• اختلاف الألوان والزخارف للعمائر داخلياً وخارجياً.

• أثر البيئة فى استخدام بعض الألوان فى العمارة الإسلامية دون ألوان أخرى فى الهند.

• أثر المعتقدات الدينية فى الألوان والزخارف فى العمارة الإسلامية الهندية.

• النظم السياسية وأثرها فى العمارة الإسلامية فى الهند.

• تأثير المواد الخام المتوفرة فى البيئة فى ألوان العمائر .

• هل اختلفت ألوان العمائر وزخارفها بحسب نوع العمارة.

• أثر الموروث الثقافى فى ألوان وزخارف العمائر الإسلامية فى الهند.

**حدود البحث:**

**المجال الزمنى:** القرن 10-12 هجرى/ 16-18 ميلادى.

**المجال المكانى:** الهند.

**منهج البحث:** يتخذ البحث المنهج الوصفى التحليلى.

**تعريف بالبحث:**

اهتم البحث بعمل دراسة تحليلية لطبيعة المواد الخام والموروث الفنى والفكر الدينى والفكر السياسى ووظيفة اللون وأثرهم على الألوان والزخارف فى الهند.

وفى الخاتمة عرضت الباحثة أهم النتائج التى توصلت إليها والتوصيات.

"تكمن تأثيرات الألوان بأنها تخلق أقصى تأثير واهتزاز للعين حسب درجاته، فاختيار الألوان وإعطائها دلالات رمزية مسألة ثقافية وليست فطرية حيث تختلف من ثقافة لأخرى، فكما يقول ميشيل مسلان (اللون فى حد ذاته محايد وهو لا يأخذ دلالة رمزية إلا على إثر عمليات عقلية واعية ولا واعية)".

**أولاً: طبيعة المواد الخام وأثرها على اللون والزخارف:**

كان يستخدم فى الهند نوع من الحجر الرملى الأحمر يستخرج على هيئة ألواح رقيقة، وكان يستخدم الجرانيت الخشن فى بناء الجدران ثم تكسى بالحجر الرملى الأحمر، واستخدم ( الإمبراطور جلال الدين أكبر) الرخام فى المناطق الهامة بدون بذخ، ولكن فى عهد ابنه (الإمبراطور جهانجير) بدأ تكفيت الرخام، وهى تقنية تناسب الزخارف داخل المبنى إلا أنه ما لبث ان استخدمه فى تكسية المبانى من الخارج لا شك أن اندماج نماذج وسط آسيا

وإيران مع مواد وتقنيات السكان الأصليين بالهند ظهرت بشكل رائع فى أعمال الحجارة التى تغطى كثير من آثار المغول، وكان الحجر الرملى الأحمر ذو الزخارف الغائرة والبارزة التغطية الأكثر شيوعاً، وظهر ذلك جلياً فى عصر (الإمبراطور أكبر)، ومن ثم أصبح بعد ذلك من أكثر المواد المفضلة فى المبانى الإمبراطورية حيث استخدم فى أسوار القلاع الملكية ومنه كانت القلعة الحمراء بأجرا ولال قلعة أو القلعة الحمراء بدلهى، أما مقبرة همايون بدلهى فقد أضيف للحجر الرملى الأحمر الرخام الأبيض والحجر الرملى الأصفر لتحديد البوابات الرئيسية، ومن هنا بدأ الاتجاه للزخارف متعددة الألوان الذى بلغ ذروته فى عهد (جهانجير)، كما فى مقبرة اعتماد الدولة بأجرا التى يسيطر عليها لون الرخام الأبيض يتخلله مجموعة من الأحجار المتنوعة ذات ألوان وملامس مختلفة أحضرت من محاجر بعيدة من وسط الهند، وقد صنع من هذه الحجارة المتنوعة نماذج هندسية بتصميمات مختلفة، استخدم أيضاً الرخام الأبيض فى تاج محل يحيط به مبانى من الحجر الرملى الأحمر ما ساعد على إظهاره بشكل واضح وجلى مع استخدام تقنية بيترا دورا فى تزيين الأضرحة حيث استخدم فيه أحجار اليشم والعقيق واليشب ولابي لازولى lapis lazuli وأنواع أخرى متنوعة من الأحجار الكريمة والنصف كريمة، قطعت هذه الأحجار لعمل زخارف زهور وأرابيسك، يوجد ذلك أيضاً فى السرادقات الرخامية التى شيدها (شاه جهان) فى قصوره المحصنة بأجرا ودلهى.

بالإضافة للأحجار الملونة المستخدمة فى زخرفة الأسطح والتى وصلت لذروة الإتقان، كان أيضاً استخدام الأسطح أحادية اللون بالإضافة لتصميمات هندسية منحوتة وزخارف نباتية فى الأعمدة والواجهات من الحجر الرملى الأحمر فى قصور (أكبر) بأجرا وفتحبورسيكرى، أما مبانى (شاه جهان) فقد استخدم فيها الرخام الأبيض المنحوت نحت بارز بشكل دقيق لأشكال نباتات مزهرة فى شكل حزمة أو مجتمعة داخل فازات مزخرفة وذلك مما يوضح مهارة العمال والفنانين والحرفيين الهنود ودقتهم والتى ظهرت بشكل واضح كذلك فى الحواجز ذات المخرمات (جالى) التى تساعد على التخفيف من حدة أشعة الشمس والسماح للهواء بالمرور للداخل وكانت منحوتة بأشكال هندسية ونباتية.

استخدم الجص فى التزيين فى بعض المناطق مثل السند وبنجاب، وكان يصمم به تفاصيل نحت بارز مقطعة بدقة بأشكال زخارف هندسية فى الأسطح الداخلية للغرف ذات القباب فى المساجد والمقابر، وكان شائعاً أيضاً تصميم يشبه أوعية الشرب ذات الرقبة الطويلة كانت تنحت بشكل عميق فى الجص كما لو أنها زجاجات حقيقية من الزجاج أو النحاس الأصفر، كما استخدم الجص فى عمل قاعدة للوحات الجدارية التى تزين غرف القصور والأضرحة، ويزخرف الجص بزخارف زهور متكررة يتخللها سيقان نباتات أو زهور فى مزهريات، وكان المفضل فيها استخدام ألوان الأزرق والأخضر والأصفر مع تحديدها باللون الذهبى، وأحياناً يضاف لهم ألوان القرمزى والتركواز للوصول إلى الألوان الزاهية التى تمثل السمة الأساسية للأسلوب المغولى.

من الخامات المستخدمة فى مبانى العصر المغولى بلاطات السيراميك متعددة الألوان والتى تصل جذورها لعصر المغول الأوائل، وكانت تحتوى على تصميمات أزهار وزخارف هندسية وكتابات على خلفيات أصفر زاهى وتركواز أو أبيض، كما وجدت زخارف لحيوانات، وبلاطات أخرى صممت ونفذت بأسلوب ( cuerda seca) وهى ألوان متعددة يفصل بينها خطوط من الشمع تذوب عند حرق البلاطات، وهى تقنية مناسبة جداً لموضوعات الأزهار المنتشرة على مجموعات كبيرة من البلاطات.

الأكثر ابهاراً كانت التأثيرات التى تحققت باستخدام مرايات موضوعة بداخل الجص للحصول على واجهات متلألأه، كما استخدمت فى التصميمات الداخلية للقصور المغولية مثل شيش محل، وللوصول لأكبر عدد من الأسطح العاكسة كانت تلصق قطع صغيرة من المرايات فى الأقبية والقباب التى كانت تغطى الصالات، الأكثر جمالاً كان شيش محل الذى بناه الحاكم الراجبوتى (ميرزا جاى سينج) فى قصره فى عنبر براجستان.

كان الأباطرة المغول يفضلون حجر اليشم وكانوا يستوردونه من وسط آسيا والصين حيث إنه غير متوفر فى الهند ومنه ألوان مثل الأبيض والمعتم والأخضر الغامق كما كانوا يفضلون أحجار مثل العقيق والكريستال وكان يصنع منها أشياء متنوعة مثل الأطباق والأكواب وحوامل الحبارات وخلفية المرايات وينحتها الحرفيين بمهارة بأشكال براعم لوتس وبتلات وأوراق لولبية، وكانت تطعم بالياقوت والزمرد وقطع من لابيه لازولى توضع فيما يشبه أشعة مزهرة أو تكون محددة بخطوط ذهبية رفيعة، وكانت تصنع مقابض الخناجر والسكاكين من حجر اليشم المطعم بالياقوت والألماس، وكان يستخدم العاج لصنع أوعية بشكل أنياب الفيل لحفظ البارود، كما كان يطعم به الخشب بأشكال نباتية، ومن الأحجار المهمة أيضاً التى كان يستخدمها المغول كان صدف أم اللآلئ الذى كان له مساهمة خاصة فى الطراز المغولى وخاصة فى أضرحة الصوفيين فى أحمد آباد وفتحبورسيكرى ودلهى وكانت تحتوى على حواجز خشبية ذات زخارف مفرغة ومطعمة بأم

اللآلئ، وكان يستخدم أيضاً فى تزيين علب الأقلام وألواح الكتابة ووحدات الأثاث.

**ثانياً: الموروث الفنى وأثره على اللون والزخارف:**

كانت الزخارف المغولية فى البداية متأثرة بالزخارف التيمورية مع استخدام نفس التقنية من الجص المنحوت والبلاطات متعددة الألوان، من أمثلة ذلك القلعة الحمراء بأجرا التى بناها الإمبراطور (أكبر) استخدم فيها دمج الأسلوب الفارسى الإسلامى مع الأساليب والتقنيات الهندية المحلية، وظهر الأسلوب المحلى فى استخدام التقليد المحلى فى النحت على الحجر بدلاً من استخدام الجص والبلاطات حيث استطاع العمال المهرة أخذ الزخارف النباتية الإسلامية إلى مستوى جديد من الدقة والإتقان فى الصنعة فكانت العناصر بينها تناسب وتناسق والنحت متوازن ومتجانس والزهور والبراعم بها تطابق، ظهرت أيضاً تأثيرات الأسلوب المحلى فى تطبيق الأشكال الأقرب إلى الطبيعية بجانب الزخارف التجريدية النباتية الإسلامية (صورة 1)، من أنواع الزخارف النباتية التى استخدمت على نطاق واسع فى تزيين مبانى فتحبورسيكرى الورود وأشجار الرمان والعنب، وكان ضريح (اعتماد الدولة) بأجرا أول مبنى مغولى مزين بالكامل بالتطعيم بالرخام تزينه زخارف نباتية تجريدية مستوحاة من زخارف مسجد الشيخ (لطف الله) بأصفهان، وبالرغم من التشابه بين الزخارف الصفوية والزخارف المغولية إلا أن الزخارف المغولية كانت منفذة بشكل أكثر بساطة و تفاصيل أقل، حواف أوراق الشجر والبتلات مستوية، الزخارف مرسومة بشكل به تكرار وألوان قليلة مع استخدام عناصر قليلة فى الوحدة المرسومة وتخرج الأوراق التجريدية والطبيعية من نفس الساق، توجد تصميمات مشابهة مع تفاصيل أكثر خصوصاً فى حواف الأوراق والبتلات تزين مبنى (مثمن برج) بالقلعة الحمراء بأجرا وذلك يوضح مهارة الفنانين المغول فى أشغال بيترادور، مع حلول القرن السابع عشر الميلادى وتطور العمارة المحلية والتوسع التجارى مع الغرب انصرف الفنانين المغول عن الأسلوب الفارسى فى الزخرفة وظهرت عناصر نباتية جديدة مثل أنواع من الزنابق والأقحوان وشقائق النعمان وكانت تنفذ بنحت قليل البروز والذى أصبح منتشراً فى العمارة المغولية وأصبحت الزخارف أقل كثافة مع سيقان نباتات رفيعة ملتوية وتفاصيل رائعة لأوراق النباتات والزهور خصوصاً فى النحت البارز، وكان الأكثر اتقاناً وجمالاً زخارف (تاج محل) برسم أزهار تنمو من التربة أو أزهار بداخل مزهريات وسيقان نباتات ملتوية فى عروة العقد (صورة 2)، استخدمت ألوان الأبيض والأسود والرمادى والأحمر والذهبى فى التطعيم.

تأثر الطراز المغولى الهندى فى العمارة بالطراز الهندى القديم وخير مثال على ذلك قصر (جوده بى) بفتحبورسيكرى وهى الزوجة الهندوسية للإمبراطور (أكبر)، وكذلك قصر (جهانجير) بن (أكبر) بأجرا حيث إن أمه هندوسية (صورة 3)، ويلاحظ هذا التأثر الشديد بالأسلوب المحلى فى العمارة الإسلامية الذى يزداد فى عصر الإمبراطور (أكبر) حيث كان يهتم بتوحيد البلاد، أما فى عصر (شاه جهان) فظهرت تأثيرات وافدة من إيران حيث تزوج والده من الإمبراطورة (نورجهان) من عائلة (اعتماد الدولة الأصفهانى) ثم تزوج ابنه (شاه جهان) من نفس العائلة الإمبراطورة (ممتاز محل)، وظهر التأثير الإيرانى واضح فى تخطيط العمائر والزخارف والمواد الخام الذى غلب عليها الرخام بدلاً من الحجر الرملى الأحمر، يأتى بعد ذلك التأثير الأوروبى الذى ظهر فى تصميم بعض العمائر مثل الجمالونات واستخدام القرميد ولكن كان التأثير الزخرفى أكثر وضوحاً وذلك بسبب قدوم عدد من الفنانين الأوروبيين إلى البلاط المغولى وخصوصاً فى عهد (أكبر) و(جهانجير) و(شاه جهان)، كما ظهرت أيضاً بعض التأثيرات الصينية فى شكل القصور الصغيرة ذات السقف الجمالونى (الأكشاك)، واستخدام الأخشاب فى العمائر المدنية، وكذلك بعض العناصر الزخرفية من الفن الصينى.

بتوسع الإمبراطورية المغولية ووصولها إلى حدود الهند الشمالية وداخل شبه الجزيرة إلى الجنوب وشملت كل الأراضى التى تحتوى على مدى واسع من أشكال المبانى المحلية، كل هذا امتص ودخل تحت أسلوب معمارى الذى اتخذ بشكل سريع الأبعاد التقنية والجمالية للأسلوب الإمبراطورى، فيلاحظ أنه من كوجرات وراجستان فى الغرب جاءت الصالات ذات الأعمدة (jharoka) وهى بلكونة بها عرش الإمبراطور يقابل منها الرعية فى المناسبات والاحتفالات، والشرفات (chhajjas)، والسواتر ذات الثقوب (jali)، والسرادقات ذات القباب (chhatris)، بينما البنغال فى الشرق أخذ منها (bangla) وهى عبارة عن سرادق يتميز بالحواف المنحوتة والكرانيش، كل هذه الآثار تميزت بالحجر الرملى الأحمر والرخام الأبيض، لم تستخدم أعمال الجص البارزة والملونة مثل الموجودة وموظفة فى العمارة الفارسية إلا فى نطاق ضيق وأماكن محدودة وذلك بسبب طبيعتها الهشة التى لا تلائم طبيعة الطقس القاسية فى البلاد.

اهتم الفنانين الهنود باستلهام الأفكار من العناصر المحيطة والموتيفات التى تميز بها سكان الهند الأصليين، كما كان يوجد

ميل بشكل عام تجاه الألوان المبهجة بتناغم وتضاد جرئ ، كما كان الإهتمام بالواقعية فى رسم الحيوانات والطيور والأشجار والزهور وبورتريهات الأباطرة والنبلاء وكان ذلك لاهتمامهم بالطبيعة والتعبير عنها كما هى دون تدخل منهم، فيمكننا مثلاً أن نرى زهور اللوتس على قمم المساجد والأضرحة المغولية والنباتات الهندية المزهرة على حواف اللوحات الرخام والمنمنمات والأوشحة، كما أن الأثاث الخشبى كان مطعم بالأحجار مثل أم اللآلئ وقطع العاج، وأهم ما يميز هذه الفترة أيضاً ظهور تقنية بيترا دورا pietra dural وتميز بها فترة حكم الأمبراطور (شاه جهان)، و تظهر هذه التقنية فى اللوحات الموجودة بالحائط مباشرة خلف عرش (شاه جهان) فى ديوانى عام فى القلعة الحمراء بدلهى، وكانت فى لوحات توضح رسوم طيور وزهور وإله الإغريق أورفيوس يعزف على قيثارته وهذه اللوحات صممت بالموزاييك وأحجار بألوان مختلفة وضعت بداخل رخام أسود.

يعتقد البعض أن فن البيترادورا يرجع أصله إلى إيطاليا وطوره الفنانين الهنود بما يتناسب مع رؤيتهم وفكرهم، ويرى آخرون أن هذا الفن تطور بشكل طبيعى فى الهند بدون تأثيرات خارجية حيث نلاحظ الإختلافات الموجودة فى أعمال التطعيم فى مبانى الإمبراطور (أكبر) يليه الإمبراطور (جهانجير) ثم الإمبراطور (شاه جهان)، كما أن التطور المستمر فى فن التطعيم يمكن أن يرى فى جهانجيرى محل ثم مقبرة (أكبر)(صورة 4) ثم مقبرة (سالم شيشتى) و(اعتماد الدولة) (صورة 5)، يشكل ضريح اعتماد الدولة حلقة وصل بين فترتين مهمتين جداً وهما فترة حكم (أكبر) وفترة حكم (شاه جهان)، فيعتبر هذا المبنى هو أول مبنى من الرخام الأبيض المطعم بتقنية بيترادورا، وهو يمثل الانتقال من مبانى الحجر الرملى الأحمر فى عصر (أكبر) بتصميمها القوى والبسيط فى نفس الوقت إلى المبانى ذات الشكل الباذخ الفخم من الرخام الأبيض فى عصر (شاه جهان)، وقد وصل هذا الفن ذروته فى مبانى تاج محل ومثمن برج بقلعة أجرا فى عهد (شاه جهان) (صورة 6) وهو ما يؤكد فكرة أن فن التطعيم تطور محلياً وليس فن وارد من أوروبا.

يعتبر فن الأرابيسك إرث العالم الإسلامى الذى ألهم الفنانين الهنود فى العصر المغولى، وكانت هذه الزخارف متقنة فى وسط آسيا وإيران حيث كانت توظف بمهارة عن طريق المعماريين والحرفيين فى القرون التى تسبق العصر المغولى، وقد أدخل المغول فن الأرابيسك إلى الهند حيث تشبع بالروح المحلية من خلال استخدام الخامات والتقنيات المحلية للسكان الأصليين، يمكن أن نعرف الأرابيسك المغولى بأنه الطبيعة المجردة، حيث استطاع أن يوظف موتيفات مستلهمة من زهور ونباتات وعمل انحناءات والتواءات من سيقان الأزهار المورقة وزهور متفتحة، هذه العناصر تتحد بشكل مميز لا يشبه الطبيعة لعمل تصميمات هندسية بها تماثل تدور حول محور فى الوسط، يستطيع الأرابيسك أن يمتد إلى مالا نهاية ولهذا السبب فإنه مناسب لملئ جميع الفراغات للأشكال المختلفة والمناطق الصعبة فى المناطق الغير منتظمة، وتظهر تصميمات الأرابيسك فى تاج محل محققة دقة منقطعة النظير وذلك عن طريق استخدام ما يشبه سيقان نباتات رفيعة بشكل دوامات تنتهى بأوراق شجر أو أزهار (صورة2)، فى كل أنحاء الأثر تظهر زخارفه من الأرابيسك مصنوعة بتقنية بيترادورا.

يرجع أصل الخطاطين المهرة فى البلاط المغولى إلى وسط آسيا وإيران، فكان الأسلوب الفارسى فى الكتابة والخط مع وجود المواد والتقنية والألوان الهندية، فكانت المساجد والأضرحة مزينة ببراويز بها كتابات عربية بخط النسخ والثلث، مثال على ذلك خط النسخ فى المسجد الجامع بفتحبورسيكرى حيث المحراب الأوسط فى الحائط الخلفى بغرفة الصلاة محاط بشريط به كتابات بذلك الخط (صورة 7) مثال آخر للكتابة بالنحت البارز كانت الكتابات الملكية (لجهانجير) محفورة على جوانب العرش ذو الرخام الأخضر بداخل القلعة الحمراء بأجرا، وكانت الكتابة بخط النستعليق (صورة 8) وفى تاج محل توجد كتابات منفذة بتقنية بيترادورا بخط الثلث بقطع من الحجارة السوداء على خلفية من الرخام الأبيض تقدر بحوالى ألف متر من الآيات القرآنية على تاج محل بداخل برواز حول المدخل الخارجى والبوابات الداخلية للمقبرة الرئيسية كما على الجامع المجاور وبوابة المدخل للحديقة الكبيرة، كل هذا صممه أمانات خان وهو خطاط بارز جاء إلى الهند من شيراز بفارس وكان يترك إمضاؤه على أعماله، كما توجد كتابات بخط النسخ بتقنية بيترادورا بحجم أصغر تزين الضريح العلوى لممتاز محل وتحتوى على آيات قرآنية تبشر بالجنة.

تعتبر الأزهار من أكثر الأشكال المفضلة عند الأباطرة المغول والمشتركة فى زخرفة كل ما يتعلق بالأسلوب المغولى من تزيين العمارة إلى تزيين الأدوات المستعملة، فكان يهتم الفنانين بتزيين كل جزء بالورود، وهذه الأزهار ترمز للجنة، وقد وجدت كتابات بديوانى خاص بالقلعة الحمراء بدلهى تقول "إذا كان يوجد جنة على الأرض فإنها هنا، فإنها هنا، فإنها هنا" وذلك أن الجنة لا تكون مكتملة بدون الأزهار والماء الجارى، وفى رانج محل يوجد

نافورة اللوتس الرائعة منحوتة على أرضية من الرخام، ومن أنواع الزهور التى كان يستخدمها المغول فى زخارفهم أزهار الخشخاش والقرنفل والتيوليب التى لم تكن معروفة فى سهول الهند، وبذلك يمكن القول أن زخارف الأزهار المغولية كانت مستلهمة من النباتات الموجودة فى أراضى العالم الإسلامى كما يظهر فى السجاجيد المنسوجة والأحجار المنحوتة من حجر اليشم والهوامش المرسومة فى المخطوطات، كما أنهم لم يترددوا فى دمج هذه الأشكال المستوردة مع الأنواع المحلية، فاستخدموا أزهار اللوتس والسوسن، من أمثلة ذلك ألواح مرسوم عليها فواكه بمنزل السلطانة التركية بفتحبورسيكرى (صورة 9)، وأزهار السوسن والزنابق على المسجد المجاور لتاج محل بأجرا، وألواح الرخام الأبيض بتاج محل وبها خليط بين أشكال واقعية ومحورة خصوصاً فى حزم الأزهار بداخل فازات منحوتة على الحوائط الداخلية لغرفة المقبرة (صورة 10)، كما يلاحظ استخدام تقنية بيترادورا فى الحاجزjali الذى يحيط بمقام (شاه جهان) و(ممتاز محل) حيث تبدو الأزهار بشكل واقعى طبيعى.

**ثالثاً: الفكر الدينى وأثره على اللون والزخارف:**

من التقاليد الإسلامية ورث المغول اعتقادات حول بعض معانى الأشكال الهندسية، فمثلاً ترمز الدائرة لقبة السماء، والمثمن يرمز للجنان الثمانى (هشت بهيشت hashet beheshet)، والماء المتدفق فى الجداول تجتاز الحديقة الرباعية (جهار باغ chahar-bagh) أو حديقة الجنة ذات الأربع مربعات، وكانت الزخارف الممتدة بلا نهاية ترمز إلى لا نهائية ولامحدودية الكون، تمتد الزخارف على الحوائط والأرصفة والممرات التى تمتد من المبنى إلى شرفات الحدائق المحيطة وبذلك تربط العمارة بالطبيعة، ويظهر ذلك بوضوح فى الحدائق الكبيرة لأضرحة الأباطرة والملكات وفى البيوت الملكية التى تفتح على الحدائق الخاصة جهارباغ، لم تكن الهندسة فى الأسلوب المغولى مجرد أسلوب زخرفة ولكن محاولة لاستدعاء الجنة على الأرض.

**رابعاً: أثر الفكر السياسى على اللون والزخارف:**

يعبر اللون الأحمر دائماً عن الإمبراطور وبلاطه، ولهذا السبب فقد انتشر فى تصميمات المنسوجات المستخدمة فى قاعات المقابلات الإمبراطورية والخيام.

**خامساً: الدلالات الرمزية للألوان على المنشآت المعمارية:**

استطاع الفنان المسلم استخدام الألوان فى العمارة والفنون الإسلامية بشكل يدل على مدى فهمه واستيعابه لهذه الألوان ومدلولاتها مع احترام الأذواق المخزونة فى ذاكرة الشعوب الإسلامية مع استعمال الألوان المستقاه مباشرة من العقيدة الإسلامية و(القرآن الكريم) والتى لها دلالات رمزية وحسية وجمالية، ومع ملاحظة اختلاف الأذواق والمستوى المعيشى وأهل الزهد وأهل الثراء إلا أن الألوان المستخدمة استطاعت إرضاء جميع الأذواق.

تختلف معانى الألوان من بلد لآخر ومن ثقافة لأخرى وباختلاف الديانات، فمثلاً بلد كبيرة مثل (الهند) تنوع فيها استخدام الألوان وتنوعت رموزها وأسلوب استخدامها، ففى الشمال تستخدم الألوان بدرجات فاتحة وفى الجنوب تستخدم الألوان البراقة الزاهية، كما أن الهند بلد متعدد الديانات مثل الهندوسية والبوذية والجاينية والسيخ، وألوان مثل اللون الأحمر ولون الزعفران وهو لون أحمر برتقالى يلعبون دوراً أساسياً فى جميعهم، كما استخدم اللون الأزرق للون جلد الآلهة مثل الإله كريشنا وهو لون يرمز للخلود والشجاعة والتصميم، ويرمز اللون الأحمر فى الثقافة الهندية إلى النقاء والحيوية والخصوبة وهو لون مهم جداً فى هذه الثقافة وهو غالباً مرتبط بالإلهة دورجا إلهة الكون ولهذا ترتدى الزوجات ملابس باللون الأحمر فى الأفراح ويزينون أيديهم برسوم بالحناء الحمراء وتضع السيدات المتزوجات لون أحمر على أجزاء من شعرهن، واللون الزعفران هو اللون الأكثر قداسة فى الهند حيث يرتديه الرهبان الهندوس معلنين بذلك انكار الذات وكل متع الدنيا فهو لون يدل على القداسة والنقاء والتضحية، أما اللون الأخضر فيرمز للبداية الجديدة والسعادة، ويرمز اللون الأصفر إلى المعرفة والعلم وهو أيضاً لون الربيع فيلبس فى أعياد الربيع.

استخدم فى العصر المغولى مجموعة من الألوان فى العمارة كانت تميز ذلك العصر ولها دلالات وهى:

**الأحمر الإمبراطورى:** كان الحجر الرملى الأحمر الغامق المنقب عنه فى المحاجر خارج أجرا هو مادة البناء الأولى فى العمارة المغولية، فكان يغطى أسوار القلاع الكبيرة بأجرا ودلهى، كما أنه استخدم لعمل اللوحة الحائطية التى تصور منظر طبيعى تخيلى فى منزل السلطانة التركية فى قصر(أكبر) بفتحبورسيكرى، كان ذلك اللون الأحمر هو اللون المستخدم فى السرادقات الإمبراطورية حيث كان الأباطرة المغول يقيمون لعدة أشهر كل عام سواء فى الحملات العسكرية أو فى جولاتهم.، هذا اللون الذى يعتبر علامة على وجود المغول يمكن أن يعرف به الإمبراطور نفسه والمكان الرئيسى الذى يسكنه.

**أبيض على أبيض:** الرخام الأبيض يمثل دوراً مختلفاً بجانب الحجر الرملى الأحمر فى الأسلوب المغولى، حيث إنه يرمز للنقاء والخير والروحانية طبقاً للفكر الإسلامى، وقد استخدم (أكبر) الرخام الأبيض لقبة مقبرة والده بدلهى، كما استخدمه بضريح (الشيخ سالم شيشتى) بفتحبورسيكرى، بينما اختاره (شاه جهان) لتاج محل المشروع الأهم فى عهده .

**أسود وأوكر على أبيض:** القطع والتجميع للأحجار بألوان مختلفة لعمل تصميمات غنية متعددة الألوان تبقى واحدة من التقنيات البارزة والإنجازات الجمالية فى الأسلوب المغولى، من بين الأنماط المتعددة ذات الألوان المتنوعة التى تزين مقبرة (اعتماد الدولة) بأجرا يوجد أشكال هندسية تتكون من نجوم متشابكة وعناصر متعددة المحاور، كانت تقتطع الأحجار السوداء والأوكر من وسط الهند وهى ذات عروق متنوعة وأسطح بملامس خشنة، هذه الأشكال يطعم بها الرخام الأبيض الموجود بالخلفية، ومن ثم إيجاد التصميم المفضل المكون من اللون الأسود والأوكر على أبيض الذى يمثل الشكل الخارجى للأثر.

**برتقالى وأبيض على أصفر وأخضر:** الآثار فى البنجاب مزينة ببلاطات رائعة الجمال متعددة الألوان، هذا الأسلوب وهذه التقنية ازدهرت فى عصر الإمبراطورية المغولية وتنتمى لوسط آسيا وإيران، هاتين البلاطتين المربعتين من مقبرة بلاهور ترجع لأواسط القرن السابع عشر تحتوى على زهور لونها أبيض وبرتقالى ولها أوراق خضراء على خلفية بألوان أخضر وأصفر لامع، الألوان منفذة بتقنية ceurda seca - وهى بلاطات مزججة بألوان متعددة يفصل بينها خطوط من الشمع- وبذلك تأخذ البتلات والأزهار وأوراق الشجر الشكل الطبيعى(صورة 12،11).

يرمز اللون الأحمر فى الهند للسعادة والزواج والحياة والأعياد ليس فقط بالنسبة للهندوس ولكن أيضاً عند المسلمين والجينيين والبوذيين، أما الأبيض فيرمز للنقاء والنكران وكان يستخدم القماش الأبيض فى تكفين الموتى. ربما ذلك ما أدى إلى استخدام الرخام الأبيض فى الأضرحة بدلاً من الحجر الرملى الأحمر .

كما كان للألوان دلالات رمزية خاصة بها تعكس الموروث الثقافى لديها كان الاهتمام كذلك بالإضاءة التى تساعد على إبراز اللون وتوصيل المعنى فكانت الأسطح اللامعة الناعمة من الرخام الأبيض البسيط بدون مبالغة فى الزخرفة مع سقوط ضوء الشمس الساطع عليها مثل مسجد موتى بدلهى وتاج محل بأجرا وضريح سالم شيشتى بفتحبورسيكرى يعتبر قمة النقاء الروحى الذى يبرز من الحجر الرملى الأحمر فى المبانى المحيطة، حيث إن النور فى المفهوم الإسلامى مرتبط بالإيمان والظلمة مرتبطة بالقبح والطغيان كان ذلك المفهوم أيضاً فى الألوان، فكلما كان اللون مشعاً ومضيئاً كان دليل على العدل والقسطاس والخير الإلهى وكلما كان قاتماً كان مقترناً بالظلمة والقبح.

صورة 1
حجر رملى منحوت، جهانجير محل، الحصن الأحمر، أجرا
Yahya Abdullahi, Mohamed R. Embi:ibid.p.44

صورة 2
زخارف عروة العقد، تاج محل، أجرا
Yahya Abdullahi, Mohamed R. Embi:ibid.p.44

صورة 3
الواجهة الغربية، جهانجيرى محل، قلعة أجرا
Ila Gupta, Pashupati Jha: ibid.p.8

صورة 4
عروة العقد، مقبرة (أكبر)، سيكندرا
Ila Gupta, Pashupati Jha: ibid.p.9

صورة 5
عروة العقد، بوابة ضريح اعتماد الدولة، أجرا
Ila Gupta, Pashupati Jha: ibid.p.9

صورة 6
مثمن برج، قلعة أجرا
Roy C. Carven: ibid. P. 210

صورة 7
الشيخ سالم شيشتى، فتحبورسيكرى
كتابة بخط الثلث وهى واحدة من ثمانى مجموعات تحيط بضريح الشيخ سالم شيشتى
George Michell: ibid.p.140,141

صورة 8
ديوانى خاص، القلعة الحمراء، أجرا
كتابة بخط النستعليق مزينة بزخارف نباتية
George Michell: ibid.p.142

صورة 9
منزل السلطانة التركية، فتحبورسيكرى
نحت بارز لفاكهة العنب
George Michell: ibid.p.169

صورة 10
تاج محل، أجرا
أشكال زهور داخل فازات، نحت بارز فى الرخام الأبيض
George Michell: ibid.p.173

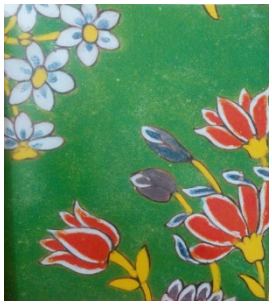

صورة 11
مقبرة بلاهور
منفذة بتقنية cuerda seca
George Michell: ibid.p.75

صورة 12
مقبرة بلاهور
منفذة بتقنية cuerda seca
George Michell: ibid.p.74

**تطبيق على بعض العمائر:**

تحتوى الهند على الكثير من الأضرحة التى ترجع إلى عصور إسلامية مختلفة، ومن أهم الأضرحة فى(العصر المغولى) بالهند مقبرة همايون، وضريح (تاج محل) الذى يعد من عجائب الدنيا السبع وذلك لما به من نظريات معمارية وهندسية تعد إعجازاً فى علم العمارة والبناء.

**مقبرة هومايون**

صورة 13
منظر لمقبرة همايون بدلهى تحيط بها الحدائق.
Maryam Ahmadi: Chahar Bagh Avenue, Isfahan Genesis and - Demise, Pre-Islamic and Islamic Garden Influences in the Safavid Creation and History of its Subsequent Degeneration, A thesis submitted in partial fulfilment of the requirements of Nottingham Trent University for the degree of Doctor of Philosophy,January 2016. P. 142

أنشئ فى عهد الإمبراطور (جلال الدين أكبر) تقريباً بين عامى(1565-1572م):

**الوصف المعمارى:**

يتوسط الضريح حديقة ويسمى هذا التخطيط (هشت بهيشت) أى الجنان الثمانى ، وحيث أن القرآن الكريم ملئ بالإشارات إلى الجنة على أنها حدائق تجرى بها المياه، والظلال، وأشجار الفاكهة، والحور العين، فإن هذا التصميم مناسب جداً كإعداد لضريح، وهذا التخطيط متأثر بالتصميم الفارسى، و تصميم الضريح على هيئة منصة مربعة مصمتة مرتفعة عن أرض الحديقة يحيط بها غرف من جميع الجهات تطل على الخارج بواجهات معقودة بعقد مدبب أسفله باب، يعلو المنصة ضريح بقاعدة مثمنة وأربع إيوانات، يتكون من طابقين بواجهات متطابقة فى الشكل تدعم قبة مزدوجة على أسطوانة مرتفعة، الواجهة الرئيسة تحتوى على عقد يظهر الارتفاع بالكامل، والواجهات الأخرى عند الزوايا بها دخلات معقودة، فى الزوايا الضيقة يوجد عقود بالارتفاع يشكل برواز للمدخل، المساحة المثمنة الباقية فى الوسط أكثر ارتفاعاً من الغرف المحيطة بها وترتفع بصفين من العقود تغوص بداخل سمك الحجارة، تشكل شبكة من العقود قبو ضحل ضمن ارتفاع القبة الأسطوانى كما يوجد فى الأعلى شريط من ربع دائرة يشكل إفريز يتمايل مع منحنى القبة المغطاة بالرخام، وللمرة الأولى بالهند فإن سطح القبة الداخلى والخارجى صاروا منفصلين لعمل تأثير بصرى.

يوجد قبر (همايون) فى مركز الضريح وهو يتكون من غرفة مثمنة لها قبة بها مدخل فى الضلع الغربى والأضلاع الشمالية والجنوبية والشرقية فيوجد بهم نوافذ معقودة بعقود مدببة عليها أحجبة مفرغة بدوائر حجرية متشابكة، يتوسط الحجرة تابوت مستطيل، والحجرات الأخرى الركنية المثمنة الشكل فتحتوى على قبور أفراد عائلة (همايون)، وهى حجرات متشابهة يعلوها جواسق صغيرة.

يظهر التأثير الفارسى فى التنسيق الشعاعى للمخطط والبدن المستطال والقبة البصلية المزدوجة، أما التأثير الهندى فيظهر فى المنصة الواسعة المرتفعة عن الأرض واستخدام الحجر الرملى الأحمر والرخام والسرادقات الصغيرة ذات القبة فوق كل ركن.

**الزخارف والألوان:**

بنى الضريح بالحجر الرملى الأحمر والحصى والحجارة كما استخدم الرخام على الأرضيات، يحيط بالضريح سور حجرى مرتفع، يحتوى الضريح على زخارف من الرخام الأبيض الملبس على الحجر الرملى الأحمر "مادة البناء"، ويوجد زخارف هندسية مفرغة بالحجر الرملى الأحمر والذى استخدم أيضاً فى عمل التوابيت التى كتب عليها آيات من القرآن الكريم، أرضية غرفة الضريح الرئيسة مكسوة بالرخام الأسود بأشكال نجوم على أرضية من الرخام الأبيض، والحجرة مغطاة بقبة كبيرة خالية من الزخارف، أما التوابيت الموجودة بالحجرات الجانبية فعبارة عن تركيبات رخامية مزخرفة بزخارف نباتية ويوجد على جوانبها آيات قرآنية بالخط الثلث المحفور على الرخام.

البساطة فى الزخرفة من خصائص العمارة المغولية ويتضح ذلك فى استخدام الرخام الأبيض بدلاً من السيراميك متعدد الألوان عند التيموريين.

استعان الإمبراطور (أكبر) بالموروث الفنى فى الخامات والزخارف لتوحيد البلاد حتى أنه جمع الأديان فى دين واحد وذلك حتى يستطيع تكوين إمبراطورية واحدة مترابطة، وظهر ذلك فى ألوان المبانى حيث استخدم اللون الأحمر بخامة الحجر الرملى الأحمر وهو ما يرمز للقوة والتضحية وأيضاً السعادة وهو لون يرى من مسافات بعيدة ويشد الإنتباه فيوحى بقوة وعظمة هذه الإمبراطورية ويلقى الرعب فى قلوب أعدائها، كما استخدم اللون الأبيض على نطاق ضيق فى الزخارف وفى الأضرحة، وهو لون يدل على النقاء والطهارة.

فهناك تداخل فى الألوان حيث يلاحظ أن جميع أجزاء الضريح تتميز باللون الأحمر المستخدم من الحجر الرملى يحدده اللون الأبيض المفضل فى الأضرحة، وقد ساعد هذا اللون على ظهور الزخارف على واجهة الضريح، ويعلوها قبة باللون الأبيض الناصع فتبدو واضحة ومتألقة من مسافة بعيدة وخاصة بعد سقوط أشعة الشمس عليها، مما يعطى انطباع بالأناقة والفخامة والرهبة التى كانت تتميز بها أضرحة الهند فى ذلك الوقت.

**تاج محل:**

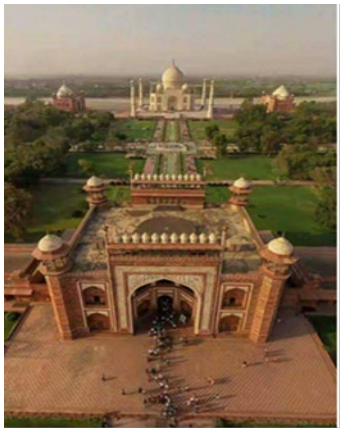

صورة 14
تاج محل، أجرا
صورة جوية توضح بوابة مجمع تاج محل، ومبنى ضريح تاج محل وعلى جانبيه مبنى الضيافة والمسجد
http//wikipidia.com24 ديسمبر 2017

أنشأ الإمبراطور (شاه جهان) ضريح تاج محل لزوجته المفضلة (أرجمند بانو) التى توفيت أثناء ولادتها لطفلها الرابع عشر.

**الوصف المعمارى:**

أنشئ الضريح على مصطبة مربعة من المرمر الأبيض مرتفعة عن الأرض بسلالم وفى أركانه الأربعة مآذن من المرمر الأبيض دائرية المسقط بقاعدة مثمنة مدمجة بجسم المصطبة، كل مئذنة مكونة من ثلاث طوابق يعلوها قبة تحملها ثمانية عقود مفصصة ترتكز على أعمدة رشيقة.

المصطبة مزخرفة بوحدة متكررة من دخلات معقودة غائرة قليلاً من الخارج ومسطحة من الداخل، صممت المآذن بحيث أن الناظر إلى الضريح يرى المآذن الأربعة دون أن تغطى المئذنتان الأماميتان على المئذنتان الخلفيتان، يقع الضريح فى وسط المصطبة وزواياه الأربع مشطوفة وبها أبواب معقودة تؤدى إلى داخل الضريح، واجهات الضريح الأربع متطابقة تماماً، كل واجهة تحتوى على عقد أوسط كبير فارسى مدبب على جانبيه عقدين أصغر يشبهوا العقود الموجودة بالأركان، يحيط بالعقد الأوسط الكبير فى الواجهات الأربع أشرطة من الآيات القرآنية المنفذة بالرخام الأسود الملبس على الرخام الأبيض قوامها سورة (يس)، وسورة (التكوير)، وسورة (الانشقاق)، وسورة (الفجر)، كما تحتوى هذه الواجهات على زخارف زهور مثل القرنفل وأوراق نباتية منفذة بالرخام الملون والأحجار الكريمة على الرخام المرمرى الأبيض، العقد الفارسى بالواجهة الرئيسية يمثل المدخل الرئيسى للضريح.

بنى الضريح من المرمر الأبيض الناصع وعلى جانبيه أنشئ بنائين من الحجر الرملى الأحمر أحدهما لقصر الضيافة والآخر لمسجد، وهذا يؤدى إلى إبراز الضريح بشكل واضح ومميز بلونه الأبيض، يقع الضريح فى الطرف الشمالى للحديقة على عكس ما كان فى الأضرحة السابقة حيث كانت تقام الأضرحة فى وسط الحديقة، تنعكس صورة الضريح على سطح الماء فى البركة المقامة أمامه والمزينة بالرخام المصقول والمنحوت بزخارف.

يتكون الضريح من إيوان مركزى مثمن المسقط، يحيط به أربع إيوانات وممرات، يعلو الإيوان المركزى قبة بصلية داخلية تعلوها قبة أخرى خارجية ترتفع فوق رقبة عالية بصلية الشكل من المرمر الأبيض، يعلو القبة خوذة مضلعة يخرج منها عمود من النحاس المشغول فى نهايته هلال، يضم هذا الإيوان ضريحان (لشاه جهان) و(ممتاز محل)، والإيوانات الأربعة المحيطة مثمنة المسقط ولكنها أصغر من الإيوان الأوسط وتعلو كل منهم قبة صغيرة.

"إيوان الضريح مشيد من الرخام الأبيض المرصع بالجواهر والأحجار شبه الكريمة وسط مبنى مقام (تاج محل) الشامخ الذى يغلب على تصميمه الطابع الفارسى يضفى على الحجر إحساساً صوفياً تتعانق فيه موضوعات الحب والموت والإيمان بالحياة الآخرة، فعندما أراد (شاه جهان) تخليد قصة حبه لزوجته أودع رفاتها

قصيدة مرمرية مغشاة بأكاليل الزهور وباقات الورود المرصعة فى الرخام الوردى باللازورد والزمرد والجواهر النفيسة وشبه النفيسة التى جلبها من شتى أنحاء مملكته."قال فيه شاعر الهند الأشهر رابندرانات طاغور،"حسب شاه جهان أنه قد سكب على ضفة النهر دمعة واحدة التصقت بوجه الزمان".

**الزخارف والألوان:**

ضريح (تاج محل) والمنصة من الرخام الأبيض مع مواد بللورية شفافة عالية التكلفة والجودة والتحمل، ونتيجة لهذه الشفافية الزائدة فإنه يعكس الإضاءة الساقطة عليه فيتغير لونه بتغير فصول السنة وأوقات اليوم وذلك لشفافية الرخام فالزهور تظهر بعد الفجر بلون وردى وأثناء الظهيرة بلون أبيض ناصع وقبل الغروب بلون رمادى، فلون المبنى من الخارج يتغير من اللون الأبيض إلى النيلى إلى البنفسجى.

على جانبى الضريح يوجد مبنيان من الحجر الرملى الأحمر وهما دار الضيافة إلى الشرق ومسجد إلى الغرب، هذا التباين فى الألوان ساعد على إظهار الضريح بشكل واضح ومميز.

استخدم فى تزيين (تاج محل) عدة أساليب منها الحفر فى المرمر، والتكفيت البارز فى سطحه، والترصيع بالجواهر شبه الكريمة (بيترا دورا)، مما يؤكد براعة الفنان المغولى ومهارته.

وأهم ما يميز (تاج محل) زخارفه المنفذة بدقة ومهارة عالية مع التنوع فكان منها توريقات وزهور ومحاليق الكروم التى تميز عهد (شاه جهان) سواء فى العمارة أو النسيج أو التصوير أو صياغة الأحجار الكريمة، وزهور الزنبق والنرجس والسوسن والتيوليب وتويجات الزهور والأوراق والبتلات .

تأثرت زخارف الزهور من حيث أسلوب التنفيذ بعدة مصادر منها التأثير الأوروبى منذ عهد (جهانجير) والفلورنسى ومنها الفارسى الصفوى والتيمورى.

كذلك استخدم فى التزيين النصوص والكتابات وكان أغلبها من سور القرآن الكريم والآيات التى تتحدث عن الآخرة والحساب، ويوجد داخل وخارج الضريح شريط من (الدادو) بنباتات وزهور بحلية نافرة منخفضة، كما يوجد تشابه فى زخارف قبر (شاه جهان) و(ممتاز محل) كما توجد هذه الزخارف أيضاً على الهياكل المحيطة، وهى زخارف نباتية مستوحاة من نماذج عشبية أوروبية ظهرت بادئ الأمر فى الفن المغولى فى مخطوطة من عهد (جهانجير) ثم انتشر بعد ذلك فى جميع الفنون المغولية.

يستخدم اللون الأبيض فى الهند للحداد ولكفن المتوفى وهو لون يدل على النقاء والطهارة، وقد استخدم أيضاً فى أضرحة أولياء الله كما فى ضريح (سالم شيشتى) بفتحبورسيكرى، وقد استخدمه (شاه جهان) فى ضريح تاج محل الذى بناه لزوجته المفضلة بعد وفاتها لتدفن فيه، واستخدم فيه الكثير من الآيات القرآنية التى تتحدث عن الآخرة والحساب والنعيم فى الجنة.

يمكن القول بأنه باستخدام الألوان فى التكسيات الخارجية يمكن التفرقة بين نوع المبنى وما إذا كان قلعة أو مسجد أو ضريح، وكذلك التصميم والزخارف، وفى أى زمن أنشئ.

وقد تأثرت عمارة الأضرحة بالهند بعدة عوامل من أهمها العوامل البيئية والتأثيرات المحلية والتأثيرات الفنية الواردة، وعند البحث فى العوامل البيئية يتضح أن الأضرحة كانت تبنى مرتفعة عن الأرض فيكون جسد المتوفى مدفون فى أرضية الضريح على عمق (أربعة أمتار) فى حين أن أرضية الضريح يمكن أن تكون مرتفعة عن الأرض بحوالى (عشرة أمتار) كما فى ضريح (تاج محل) أو (ثمانية أمتار) كما فى ضريح (همايون) مما يجعل المتوفى مدفون تحت أرض الضريح وفوق أرض الحديقة وذلك لتجنب الأمطار الغزيرة التى تغمر الأرض المحيطة فلا تصل إلى جثمان المتوفى، وبسبب الأمطار الغزيرة أيضاً ظهرت (القباب الملساء والجواسق والأقبية) حتى لا تستقر المياه فوق السطح .

**مسجد الجمعة بدلهى:**

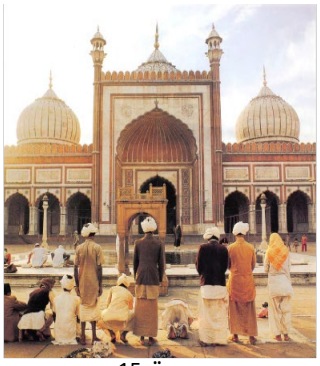

صورة 15
المسجد الجامع، دلهى
ثروت عكاشة:فنون الشرق الأقصى؛ الفن الهندى، مرجع سابق، ص300

أنشأه الإمبراطور (شاه جهان) بين عامى (1641- 1650) وهو التاريخ المسجل على لوح رخامى بالفارسية على مدخل ظلة القبلة.

**الوصف المعمارى:**

يعد أكبر وأهم مسجد جامع بالهند ويسمى (جاما مسجد) نسبة لصلاة الجمعة به، ويتسع لحوالى خمسة وعشرين ألف مصلى، كما إنه من المساجد التى تحتوى على مدرسة لتعليم العلوم الدينية من قرآن وفقه وحديث بالإضافة للفلك والطب وغيرها[1].

أنشئ المسجد على ربوة عالية، يتكون من فناء مكشوف فى وسطه حوض ماء للوضوء، ويحيط بالمسجد أروقة، وتقع ظلة القبلة بالجهة الغربية للمسجد يعلوها ثلاث قباب بصلية الشكل أكبرهم القبة الوسطى، وقد كسيت القباب بالمرمر الأبيض وزينت بأفاريز طولية من الحجر الرملى الأحمر، وعلى الجانبين يوجد مئذنتين ضخمتين يتكونان من أربعة طوابق وجوسق.

ظلة القبلة بها أربع محاريب أكبرهم المحراب الأوسط، له دخلة معقودة وتجويف نصف مثمن ومزخرف بزخارف من الرخام الأسود الملبس على الرخام الأبيض قوامها كتابات بالخط الثلث مثل كلمة (يا غفار) مكررة حيث يكون حرف الألف إلى الداخل مكونة شكل نجمة، كما يعلو المحراب كتابات بالخط الثلث قوامها آيات قرآنية منفذة بالرخام الأسود الملبس على الرخام الأبيض.

الواجهة الأمامية بالكامل بالرخام الأبيض مع وجود براويز باللون الأحمر، أما الحواجز والشرفات فإنها من الحجر الرملى الأحمر المزخرف باللون الأبيض، أما القباب البصلية المنتفخة فإنها مغطاة بالرخام المجزع بقطع من الحجر الرملى الأحمر، ويظهر نفس التصميم بشكل معكوس فى الإيوان السفلى حيث كانت الخطوط باللون الأبيض، القاعة مقسمة بدعامات ضخمة تحت كل قبة، استخدمت العقود المحارية فى كافة أنحاء المكان حتى فى الخطوط البيضاء التى تحدد الكوات الموجودة فى الحجر الرملى الأحمر أو غارقة فى رخام المحراب المجوف أو يزخرف الأرض فى أماكن الصلاة.

**الزخارف والألوان:**

استخدم فى المسجد الحجر الرملى الأحمر مع الرخام الأبيض بشكل متجانس، تداخل اللون الأحمر وهو لون يجذب الانتباه ويعطى إحساس بالقرب مع اللون الأبيض الذى يرمز للنقاء والطهارة وكان المفضل استخدامه فى المساجد والأضرحة، هذا المزيج يوحى بالنداء للمصلين لدخول المسجد للصلاة والتقرب لله وكأنه يعطى إحساس بالقرب من الوصول للجنة بالدخول للمسجد وإقامة شعائر الصلاة، وما يؤكد ذلك وجود أسماء الله الحسنى مثل (يا هادى، يا غفار) بشكل زخرفى مشكلة مثمن مع وجود الألف للداخل، ما يؤكد الفكرة والهدف وهو أن الصلاة فى المسجد ستجعل الله يهدى الإنسان ويغفر له ذنوبه، بالإضافة لوجود زخارف نباتية ترمز لأزهار الجنة وآيات قرآنية توضح النعيم فى جنة الخلد والحياة الآخرة، وهى من الرخام الأسود الملبس على الرخام الأبيض.

يتميز هذا المسجد بالاستعانة بالألوان الأحمر والأبيض بشكل متجانس ما ساعد على تحديد الشكل وإبراز القباب بشكل واضح نتيجة التباين بين اللونين الأحمر والأبيض.

وتتميز هذه المبانى باستخدام مواد صلبة مقاومة للماء والرطوبة فى البناء مثل الحجر الرملى الأحمر والرخام، ولضمان تهوية جيدة للزائرين وجدت فتحات فى الجهات الأربع فى الأضرحة كما فى ضريح الإمبراطور (همايون) و(تاج محل) وغيرهم. وتظهر التأثيرات المحلية جلية فى انتقال بعض العناصر الزخرفية والمعمارية من العمائر القديمة إلى العمائر الإسلامية مثل الأعمدة الضخمة بدون عقود فوقها، ومن العناصر الزخرفية التى انتقلت نتيجة للموروث الثقافى زخارف الزهور والورود والتى وجدت بكثرة فى عمائر الهند القديمة والعقود ذات اللفائف والعقود ذات الزهور وبالأخص فى عصر الإمبراطور(جلال الدين أكبر) وذلك فى محاولاته لتوحيد جميع الطوائف بالهند عن طريق تودده لأصحاب الديانات الأخرى حتى إنه تزوج سيدة هندوسية وشارك فى أعياد (البوذيين والهندوس) وغيرهم وسمح لهم ببناء معابدهم وعمائرهم ولذلك يلاحظ أن هذا العصر كان من أكثر العصور تأثراً بالموروث القديم، كما تأثرت الهند كذلك بالتأثيرات الفنية الوافدة من جهات عديدة وفى أزمنة مختلفة ومن أهمها التأثيرات الفارسية والتأثيرات الصينية والتأثيرات الأوروبية.

**النتائج: -**

**المواد الخام:**

- فى عهد الإمبراطور(جلال الدين أكبر) كان السائد استخدام الحجر الرملى الأحمر وخاصة فى القلاع مثل القلعة الحمراء بأجرا، وأحيانا يتخلله بعض الرخام باللون الأبيض فى الأضرحة مثل ضريح (همايون).

- فى عهد ابنه الإمبراطور (جهانجير) بدأ التأثر بالفكر الفارسى واستخدام الزخارف ببذخ واستعمال تقنية بيترادورا مع البدء فى استخدام الرخام الأبيض فى التكسيات الخارجية الذى حل محل الحجر الرملى الأحمر إلا إنه مازال مستخدماً فى الهياكل والتراكيب المساعدة لإظهار جماله.

- فى عهد ابنه الإمبراطور( شاه جهان) كان الإتجاه لاستخدام الرخام الأبيض فى التكسيات الخارجية مثل تاج محل والمساجد وبعض المبانى، أما القلاع فكانت أسوارها بالحجر الرملى الأحمر مثل القلعة الحمراء بدلهى.
- الأضرحة فى كل الفترات كانت من الرخام الأبيض مثل ضريح سالم شيشتى بفتحبورسيكرى.
- استخدام المرايات مثل قصر شيش محل وتوضع بداخل الجص للحصول على سطح متلألئ.
- الأحجار مثل اليشم ولابيه لازولى والعقيق والكريستال وصدف أم اللآلئ والياقوت والألماس وتستخدم للتطعيم فى الرخام بتقنية بيترا دورا.

**الزخارف:**

- فى عهد الإمبراطور (جلال الدين أكبر) كان يوجد تمازج بين الزخارف الإسلامية المتأثرة بالفن الفارسى والزخارف من التراث الهندى بجانب زخارف راجبوتانا وكوجرات وكان هدفه توحيد البلاد وعدم التمييز بين الديانات والثقافات وبالتالى عدم التمييز بين طوائف الشعب.
- فى عهد ابنه الإمبراطور (جهانجير) كان التأثر بالفكر الفارسى واستخدمت زخارف هندسية ونجمية ومثمنات بأسلوب التطعيم بالأحجار الكريمة ونصف كريمة، وزخارف بأشكال نباتات ملتوية، كما وجدت الموضوعات الإيرانية مثل أشجار السرو ومزهريات وكؤوس الخمر والفاكهة وكلها من رموز الجنة، بالإضافة لاستخدام الآيات القرآنية فى الزخرفة فى الأضرحة والمساجد.
- فى عهد حفيده الإمبراطور (أورنجزيب) ظهرت زخرفة جديدة تظهر تحول فى الأسلوب حيث تحولت زخرفة الأزهار الواقعية إلى تجريدية كما فى مسجد اللؤلؤة الذى بناه فى القلعة الحمراء بدلهى.
- بالرغم من التشابه بين الزخارف الصفوية والزخارف المغولية الهندية إلا أن الزخارف المغولية كانت منفذة بشكل أكثر بساطة وتفاصيل أقل.
- فى الأسلوب المغولى الهندى يوجد اندماج فتخرج الأوراق التجريدية والطبيعية من نفس الساق.
- استطاع الفنان الهندى أن يوظف موتيفات مستلهمة من زهور ونباتات وعمل انحناءات من سيقان الأزهار المورقة وزهور متفتحة وذلك لعمل تصميمات هندسية بها تماثل تدور حول محور فى الوسط وهو ما يطلق عليه فن الأرابيسك.
- مع حلول القرن السابع عشر الميلادى والتوسع التجارى مع الغرب ظهرت عناصر نباتية جديدة مثل الزنابق والأقحوان وشقائق النعمان وأصبحت الزخارف أقل كثافة مع سيقان نباتات رفيعة ملتوية .
- كما وجدت بعض العناصر الزخرفية المستوحاة من الفن الصينى.
- من أساليب الزخرفة التى استخدمت بكثرة وتطورت على يد الفنانين الهنود أسلوب التطعيم فى الرخام بالأحجار الكريمة (بيترا دورا) وكان يستخدم أحجار كريمة ونصف كريمة متعددة الألوان.

**الألوان:**

- فى عهد الإمبراطور (جلال الدين أكبر) غلب على المبانى اللون الأحمر لاستعماله الحجر الرملى الأحمر فى البناء وحتى فى الزخرفة وهو لون يمتلك ميزة الظهور والتميز ويجذب الانتباه.
- فى عهد ابنه الإمبراطور (جهانجير) بدأ استخدام الرخام باللون الأبيض فى التكسيات الخارجية وكان يستخدم أشكال رقيقة فى التطعيم بأسلوب بيترادورا ليظهر جمال الرخام واستخدمت ألوان الأصفر والبنى والرمادى والأسود المتناغم مع الرخام الأبيض فى الخلفية، كما يوجد زخارف باللون الأحمر والأسود على خلفية بيضاء.
- فى عهد ابنه الإمبراطور (شاه جهان) غلب اللون الأبيض فى التكسيات الخارجية للمبانى وكان هو اللون السائد فى عصره مثل تاج محل ومسجد موتى وبعض الأبنية داخل القلعة الحمراء بأجرا التى بنيت فى عهده، وكانت تطعم بالأحجار الكريمة والنصف كريمة مثل اليشم واليشب ولابى لازولى.
- استخدم الجص فى التزيين فى بعض المناطق مثل السند والبنجاب بعمل زخارف زهور متكررة يتخللها سيقان نباتات أو زهور فى مزهريات بألوان أزرق وأخضر وأصفر والتحديد باللون الذهبى وأحياناً يضاف لهم لون قرمزى وتركواز.
- كما استخدمت أيضاً بلاطات السيراميك متعددة الألوان تتكون من تصميمات أزهار وزخارف هندسية وكتابات على خلفيات أصفر زاهى وتركواز وأبيض.
- كان يوجد ميل بشكل عام تجاه الألوان المبهجة بتناغم وتضاد جرئ.

**الموروث الفنى:**

ظهرت عدة تأثيرات أهمها

- التأثيرات الفنية المحلية فى الألوان والزخارف.

- التأثيرات التيمورية والصفوية الوافدة من إيران مثل الزخارف التى ترمز للجنة وهى أشجار السرو وشجرة الحياة وكؤوس الخمر والفاكهة.

- التأثيرات الإسلامية وتظهر فى الكتابات من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكتابة أسماء الله الحسنى على المساجد والأضرحة.

- التأثيرات الأوروبية فى الأسلوب الذى يميل للواقعية مع استخدام بعض النباتات التى تنمو فى الدول الأوروبية كزخارف.

- التأثر بالألوان والخامات المحلية مثل استخدام الحجر الرملى الأحمر فى البناء والزخرفة، والرخام الأبيض والأحجار للتطعيم وكانت تجلب من المناطق المجاورة.

**التوصيات:**

- الإهتمام بدراسة الألوان والزخارف فى العصور الإسلامية فى الهند وتأثر تلك البلاد بموروثها الثقافى وتأثير ذلك الموروث الثقافى على اللون والزخارف للمبانى دون الإخلال بالعناصر التى تشكل الفكر الإسلامى الذى لا تخطئه العين.
- الاهتمام باستخدام ثروات الهند من مواد خام وتاريخ ثقافى ودينى فى المبانى الحديثة.
- الاهتمام بالألوان والزخارف التى تستخدمها الهند وإعادة استخدامها فى وقتنا الحاضر لإنتاج هوية بصرية تستطيع من خلالها أن تحافظ بها على هويتها بدلاً من استخدام مواد بناء وخامات وألوان لا تعبر عن البلد ولا تناسب مناخها.

**المراجع:**

**المراجع العربية:**

1- أحمد رجب محمد على رزق: المعالم والآثار التاريخية الثقافية الإسلامية فى الهند، مطبعة (الإسيسكو) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط- المملكة المغربية، 1438 هجرى-2017م.

2- بلال موسى بلال العلى: قصة الرمز الدينى؛ دراسة حول الرموز الدينية ودلالاتها فى الشرق الأدنى القديم والمسيحية والإسلام وما قبله،2011-2012م.

3- ثروت عكاشة: فنون الشرق الأقصى؛ الفن الهندى، دار الشروق، القاهرة،2005م.

4- حسن الباشا: العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الثانى، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1999م.

5- شيلا بلير وجوناثان بلوم: الفن والعمارة الإسلامية(1250-1800م)، ترجمة وفاء عبد اللطيف زين العابدين، دار الكتب الوطنية، أبو ظبى، 2012م.

**المراجع الأجنبية:**

6- Basil Gray, Peter Andrews: the arts of India,……,……,Oxford.

7- Bernard O'kane,the world of Islamic art,American university in cairo press, Egypt,2007.

8- E. B. Havell: a handbook to Agra and the taj, Sikandra, Fatehpur-Sikri and the neighbourhood, Longmans, green, and co., London New York and Bombay,1904

9- George Michell: the majesty of Mughal decoration; the art and architecture of Islamic india, Thames and Hudson, London,2007.

10- Ila Gupta, Pashupati Jha: new aspects related to origin and development of Mughal inlay art in India, anistoriton journal, vol. 11 (2008-2009) Art, https://www.researchgate.net/publicat

11- Yahya Abdullahi, Mohamed R. Embi: evolution of abstract vegetal ornaments in Islamic architecture, Archnet-IJAR, International Journal of Architectural Research, Volume 9 - Issue 12 - (31-49) – Regular Section, Faculty of Built Environment, University Technology Malaysia, Skudai, 81310 Johor, Malaysia, March 2015.

**المواقع الالكترونية:**

13 -www.ibda3world.com